الجزيرة العربية : دراسة جغرافية

Mr. Abdul Kareem Hudawi

Research Scholar,
School of Arabic & Islamic Studies,
B.S. Abdur Rahman Crescent Institute of Science & Technology.
Chennai, Tamil Nadu, India.
Email: kareemthathram@gmail.com

عبد الكريم الهدوي

الباحث، كلية الدراسات العربية والإسلامية،
جامعة هلال بي. إس. عبد الرحمن للعلوم والتكنولوجيا،
تشنئي، الهند.

Dr. A. Abdul Hai Hasani Nadwi

Dean & Associate Professor,
School of Arabic and Islamic Studies,
B.S. Abdur Rahman Crescent Institute of Science & Technology
Chennai, Tamil Nadu, India.
Email: hainadwi@crescent.education

الدكتور عبد الحي الحسني الندوي

الأستاذ المشارك، وعميد كلية الدراسات العربية والإسلامية،
جامعة هلال بي. إس. عبد الرحمن للعلوم والتكنولوجيا،
تشنئي، الهند.

Abstract

The Arabian Peninsula is a geographically diverse and resource-rich region with a dominant desert landscape, limited water resources, and immense economic power due to its oil wealth. This paper delves with the geographical and environmental characteristics of the Arabian Peninsula, detailing its natural divisions and the significant migration patterns of major Arab tribes—namely, those of Qahatan and Adnan—following transformative events such as the deterioration of the Marib Dam. Ultimately, the paper argues that the synchronous development of Islam and the Arabic language has been central to the emergence and sustained influence of Arab civilization, leaving a lasting legacy on cultural and intellectual heritage worldwide.

Key words:

Arabia, Qahatan, Adnan, Marib Dam, Al Hasa, Tihama.

ملخص البحث:

الجزيرة العربية منطقة تتميز بتنوعها الجغرافي وثرائها بالموارد الغنية، حيث يسودها الطابع الصحراوي مع موارد مائية محدودة، لكنها تمتلك قوة اقتصادية هائلة بفضل ثرواتها النفطية. يتناول هذا البحث الخصائص الجغرافية والبيئية للجزيرة العربية، مسلطاً الضوء على تقسيماتها الطبيعية والأنماط الهجرية الكبرى للقبائل العربية، لا سيما القبيلتين العملاقتين قحطان وعدنان، وذلك في أعقاب أحداث محورية مثل انهيار سد مأرب. يرفع هذا البحث بأن التطور المتزامن للإسلام واللغة العربية كان عاملاً أساسياً في نشوء الحضارة العربية واستمرار تأثيرها، مما ترك إرثاً ثقافياً وفكرياً عميقاً على المستوى العالمي.

الكلمات الرئيسية:

جزيرة العربية، عدنان، قحطان، سد مأرب، تهامة، الأحساء،

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان من طين. وأمره باتباع الشريعة والدين. والصلاة والسلام على رسوله الأمين. وعلى آله وعترة الطاهرين. وصحبه وأتباعهم إلى يوم الدين. وبعد

الإسلام دين الله الذي قام بتبليغه مئات الرسل المبعوثين من الله العزيز، أولهم آدم وآخرهم سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم. فهذا الدين أصبحت الشعوب العربية من أفضل الشعوب. وقام الدين الحنيف بثورة ثقافية وتعليمية وسياسية على مدى الدهور. مع تطور الدين تطورت اللغة العربية، لأن المصادر الدينية كلها كانت باللغة العربية. فقام هذا الدين بالاستراتيجية الساحرة في الجزيرة العربية مسقط رأسه. ثم سيطر على المعمورة بعد ما طلع في أم القرى، واتسع هذا الشعب إلى ما جاوره من الشعوب والبلدان، لا بالدين والآداب فحسب، بل بالثقافة واللسان واللغة أيضاً. فكانت بلاد العرب مهد هذا الدين ومحل التأثير به لأول مرة ومهد لغته.

اللغة العربية

العربية إحدى اللغات السامية التي وجدت في مواطن الساميين يعني بلاد اليمن والحجاز ونجد وما إليها. وهي إحدى اللغات الحية التي تحتفظ بخصائصها الأولى، إلا أن مراحل نشأتها الأولى قبل نسجها وتهذيبها غير معروفة، وأقدم ما وصل إلينا من تاريخها الأدب الجاهلي. ولا نعرف عن طفولة اللغة العربية وما اجتازت من مراحل في عصورها الأولى. ويرى المحققون أن العربية الفصحى هي اللغة التي كان يتكلم بها الساميون قبل انتقالهم إلى مناطق أخرى. ثم اشتملت العربية المضربة الفصحى ولهجاتها المختلفة التي تكلمتها قبائل اليمن والحبشة. وإنما اختلفت اللهجات لما جلى القحطانيون عن ديارهم بعد سيل العرم.

لما كانت الفترة السابقة للإسلام فترة الحروب والصراع في الجزيرة العربية تشردت قبائلها وتشتت. وظلت مكة في نجوة من هذه الحروب لا سيما قبيلة قريش، لما كانت تتمتع من مكانة ثقافية ودينية بحضارة الكعبة. وكانت لهم رحلات اقتصادية إلى الخارج والبلاد المجاورة. وكانت أراضيهم أسواق العرب ومجامع القبائل. فصارت لغة قريش لغة التفاهم تلك الأيام. قال الفراء "كانت العرب تحضر المواسم في كل عام وتحج البيت في الجاهلية وقريش يسمعون لغات العرب، فما استحسنوه في لغاتهم تكلموا به، فصاروا أفصح العرب"¹. وبهذا السبب كانت لهجة قريش الفصحى حاملة رسالة الإسلام، ونزل بها القرآن الكريم. وقد وعد الله بحفظ هذه اللغة لزوم وعده لحفظ القرآن "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"². فاللغة العربية لغة الإسلام والمسلمين. وكانت طوال أربعة عشر قرناً وعاءاً للحضارة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها.

ومع ذلك، قد اكتسبت اللغة العربية مكانة عالية بين اللغات المعروفة، حيث إنها إحدى اللغات القليلة المعترف بها في المنظمات الدولية. فالعربية ليست لغة دين وحضارة فحسب، بل هي لغة اتصال عالمي.

¹ - تكون العربية الفصحى، د/ غانم قدوري الحمد: صفحة 3

² - سورة الحجر: 9

وجدير بالذكر أن نشأة العربية كانت في الجزيرة العربية قبل قرون، وامتدّت رقعة المتحدثين بها من القبائل البدوية بداية من غرب الجزيرة العربية إلى منطقة بلاد ما بين نهري دجلة والفرات، وإلى جبال لبنان غربًا، وإلى سيناء جنوبًا.

اللغة العربية هي اللُّغة الحَيَّةُ التي ما زالت تعابرها وألفاظها القديمة وتراكيبها والكمُّ الأكبرُ من ألفاظها مُستعملة كما هي حتّى اليوم، بخلاف اللغات الأخرى مثل اليونانية والعبريّة واللاتينية. فإنها تمّ تَدْوِينُها قبل العربية غير أنّها لم تُحافظ على نفسها نابضةً كما حُفِظَت العربية. وذلك بحفظ القرآن والدين الحنيف.

نشأة الدين

الباحث عن الدين ومنبعه لا بدّ أن يرجع بحثه إلى ثلاثة أمور:

1. ماهية الدين الإسلامي، وكيف تأسست قواعده، والمصائب التي وقعت في طريقه حتى غلبها الثبات والصبر.
2. تأثيره في النفوس العربية حتى استعدت لبسط سلطانها على ما جاورها من الأقاليم، وما كان منها من سبيل ذلك من الحروب والأعمال، حتى عظم قدره واتسع سلطانه منقادًا لأسس الإنسانية.
3. ما كان من انتقال هذا السلطان من الأمم العربية إلى غيرها من الأمم التي دانت بالإسلام، وما كان من التأثير في قيام دولة خصوصًا في حضارة الأمم التابعة لسلطانه.

جزيرة العرب

يطلق العرب على قطعة الأرض التي نشأوا فيها جزيرة العرب، مع أنها لم تتمّ إحاطتها بالماء. فالسبب لتسميتها بجزيرة العرب هو لإحاطة الأنهار والبحار بها من جميع أقطارها وأطرافها.¹ وهذا التحديد ليس مرضيا عند بعض المؤرخين لأنه تقتضي أن ولايات الشام كلها معدودة في جزيرة العرب.

¹ . الهمداني، صفة جزيرة العرب: ص 39

ولتسميتها بالجزيرة وجه آخر وهو: أرض جزيرة العرب كثيرة الجبال والصحارى، لا ترى فيها ماء إلا مع القلة، ولذا سكن الأقدمون في مكان عنده ماء، فسموا بالجزيرة ظانين أنها جزيرة.

أقسام الجزيرة الطبيعية

قسم العرب جزيرتهم إلى خمسة أقسام بحسب طبيعتها، وهي: تهامة والحجاز ونجد واليمن والعروض. أما تهامة فهي الأرض التي على شاطئ بحر القلزم¹ ممتدة عرضاً إلى سلسلة جبل السراة. وسموها تهامة لشدة حرّها وركود ريحها. وسموها غورًا لانخفاض أرضها.

أما الحجاز فهو سلسلة جبل السراة الممتدة من أقصى اليمن إلى الشام في عرض أربعة أيام، واليوم أربعة وعشرون ميلاً. إنما سميت حجازاً لأنها حجزت بين الغور والنجد.

أما نجد فهو ما دون ذلك الجبل إلى شرقية يبتدأ من أدنى حدود اليمن و ينتهي إلى السماوة. وسمي نجدًا لارتفاع أرضه.

وأما اليمن فهو ما كان جنوبي نجد إلى ساحل بحر الهند. ويمتد شرقاً إلى حضر موت والشحر وعمان. وفيه التهائم والنجد.

وأما العروض ينتظم بلاد اليمامة والبحرين وما والاها. وسمي عروضاً لاعتراضه بين اليمن ونجد والعراق.

الوصف الطبيعي لجزيرة العرب

أرض جزيرة العرب كثيرة الجبال الجرداء المختلفة اللون. ومنها الحرار جمع حرة و يتخلل هذه الجبال كثير من الوديان أعدتها السيول والصحاري الرملية المترامية الأطراف.

وكان المكان القريب من هذه الوديان أخصب وأنبت، تمكن أهله من الإقامة فيه حيث يجدون ما يشربون ويسيمون فيه أنعامهم. ولم يكن في أرضها نهر يهيم الكسب المالي.

¹ البحر القلزم - الاسم القديم للبحر الأحمر (Red Sea)

وأعظم وادٍ في البلاد العربية الدهناء وهو الوادي الذي في بلاد بني تميم ببادية البصرة. له أسماء مختلفة طبقاً لما يسمونه في بلاد متنوعة.

وببلاد اليمن كثيرة الوديان. منها ما يقطع السراة حتى ينتهي إلى البحر. ومن أعظم البلاد المتجهة إلى البحر "وادي مور". ويتلوه في البعد وبعد المأتي "وادي زبيد". ومن أعظم الوديان المتجهة إلى الشرق ميزاب اليمن الشرقي، يصبّ فيه كثير من الوديان. وهو الذي يفضي إلى موضع السدّ "سدّ مأرب".

وكان العرب يسمي المواضع التي ينتفع فيها الماء "رياضاً" إن كانت في الأرض الواطئة. فإن كانت في أعالي البراق والقفاف فهي "السلفان". وكانت هذه الرياض كلها واسعة في جهات مختلفة، وهي المعروفة بأسماء أصحابها. فإذا اتسعت على ميل فهي قيعان. وأصغر الرياض مائة ذراع¹.

ولهم مياه يسمونها الأحساء بالرغم من هذه الوديان. والأحساء لا تسدّ حاجة الجزيرة، لأن كثيراً من المياه يتسرب إلى الأرض. وكانوا جاهلين عن حجر الماء من الغيظ والتسرب، إلا أهل اليمن. لأنهم بنوا سدّاً محكماً لحجر الماء خلفه في أرض صلبة. وكانوا يزرعون في بلادهم المخصبة المزروعات الدورية.

وأما ما عداها تقلّ به هذه الوديان، يعني في شمال الجزيرة. وجلّ اعتماد أهله على العيون الضئيلة التي لا تروي إلا لشارب مع الجهد.

وأما نجد والعروض ففيها وادي الدهناء. لكن الانتفاع بجميع ماءه غير ميسور. لأن الكثير من ماءه يغيض في الرمال ولذا قلّ ما كان العرب في بواديهم يبقون في مكان واحد. وكانوا يتبعون مواقع القطر ويبقون هناك.

لما كانت قلة الماء وعدم ارتفاعه يستدعيان عدم الاعتماد على ما تنبتة الأرض من المزروعات الدورية كان جُلّ أعمال أهل البادية على أنعامهم لا سيّما الإبل، يأكلون لحومها ويشربون ألبانها ويكسون بوبرها. وأما بلاد اليمن فكانت تزرع لكثرة المياه بها.

¹ رياض العرب لياقوت: ص 136

جو البلاد

أما تهامة فالحرارة بها شديدة مع الرطوبة لقرب البحر بها، وكذلك يشتد الحر في الجبال إذا صهرتها الشمس خصوصا الحرار لسواد لونها. ويشتد البرد في الشتاء.

أما نجد فما كان مجاورا من الأودية الهواء يكون به معتدلا وما بعد عنها حره أكثر. وجو اليمن هواءها معتدل في فصلي الشتاء والخريف. أم الربيع ففيه المطر الكثير ويشتد الحر في الصيف.

محاجّ الجزيرة

في الجزيرة طرق كثيرة. وكل طريق منها يسمى محجة. ومعرفة هذه المحاجّ مفتاح لمن استغلق من عبارات أصحاب التقويم. فإنهم إذا عرفوا بقرية أو جهة جعلوا المحجة أساسا لذلك، فيقولون هي على جادة البصرة أو الكوفة أو عن يمين جادة البصرة أو الكوفة. ومن المحاجّ المهمة جادة البصرة إلى مكة، ومحجة عدن، ومحجة صنعاء.

الشعوب العربية

نسب قبائل العرب إلى شعبين عظيمين: الأول شعب قحطان والثاني شعب عدنان. أما شعب قحطان فمهمه بلاد اليمن. وتتشعب قبائله من سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وكان منه بطون حمير. وأشهرهم زيد الجمهور وقضاة والسكاسك. ومنه بطون كهلان وأشهرهم همدان وأنمار وطيّ ومدحج وكنده ولخم وجدام والأزد الذين منهم الأوس والخزرج وأولاد جفنة ملوك الشام. وكانوا يسمون مقاماتهم باليمن "مخاليف".¹

سدّ مأرب

إن الملوك المتقدمين قد فكروا في الاستفادة بمياه الأودية والسيول وأقاموا بمأرب سدّا سنة 800 قبل الميلاد. هو بين ثلاثة جبال، وفي رواية بين البلق الأيمن والبلق الأيسر.² يصب ماء السيل إلى موضع واحد وليس

¹. ياقوت: ص 36

². المصدر السابق

لذلك الماء مخرج إلا من جهة واحد، فكانوا قد سدّوا ذلك الموضع بالحجارة الصلبة والرصاص. فيجتمع فيه ماء العيون مع ما يجتمع من مياه السيول، فيصير خلف السدّ كالبحر. فكانوا إذا أرادوا سقي زروعهم فتحوا من ذلك السدّ بقدر حاجتهم بأبواب محكمة، ثم يسدّونه إذا أرادوا. وكان علوه 150 قدمًا وطوله 800 قدم. ويظهر أنه لما تناولت الأزمان على ذلك السدّ أهمل من شأنه فتصدّعت جوانبه ففاضت المياه على ما أمامه من القرى والمزارع فأتلفها. وكان ذلك سنة 120 قبل الميلاد. قال تعالى: لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ¹

هجرة قحطان

يقول بعض مؤرخي العرب إن هجرة أهل مأرب كانت قبل أن ينهدم السدّ، لأن كاهنة أخبرت رئيس القوم بما سيحدث، فصدّقتها وهاجر بأهله وولده.

ومنهم من قال إن الهجرة إنما كانت بعد أن خرب السدّ وأتلف الأرض والمزارع ولم يمكنهم إعادة السدّ كما كان. وهذا الرأي أقرب للعقل وأظهر لأمرين:

1. إن مفارقة الوطن عند النفس عدل مفارقة الروح. وهو أمر شنيع مكروه. فكيف يقدم على الهجرة شخص هو وأولاده وعشيرته لمجرد خبر لا يقطع أملا.

2. إن ظاهر أي القرآن الكريم يشير إلى أن سيل العرم أصابهم وأصاب أرضهم وهم يقيمون بها: فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ². ممن رأى هذا الرأي السيد سيديو (3) Mr. Sidillot

قد حدث هذا التصدع قبل ألفين من السنين ولم يتهياً أحد من الملوك وعلماء الآثار أن بينيه من جديد. وفي سنة 1976م تهيأت لجنة لمحافظة الآثار القديمة أن تدرس عنه. وبعد ذلك تهيأت الإمارات المتحدة أن تعيد

¹ .سورة سبأ: 15

² .سورة سبأ: 16

³ . السيد سيديو (Mr. Sidillot)

طريقاً من صنعاء إلى مأرب في طول 180 كيلو متر. ثم تولت مسؤولية بناء السدّ من جديد يبلغ تكاليفه 95 مليون دولار. وأكملوه سنة 1988م. وفي هذا السدّ الذي بينه القرآن هداية وعبرة للباحثين والطلّابين وعلماء الدين.

إلى أين هاجروا؟

كانت هجرة أهل مأرب بناء على رأي كبيرهم عمران بن عمرو سيد ولد "الأزد" من كهلان. خرج هو وإخوته ترتادون مواضع من الجزيرة تصلح لسكنائهم. فصاروا ينتقلون من بلاد اليمن ويرسلون الرّواد ثم ساروا بعد ذلك إلى الشمال.

عطف ثعلبة بن عمرو نحو الحجاز فأقام بها يتبع هو ومن معه من أهله وولده مواقع القطر. ولما كبر ولده وكثر سار نحو المدينة وبها ناس من بني إسرائيل. فاستوطنوا وغلبوا أهلها وابتنوا الأظام. ومن أبناء ثعلبة هذا الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة.

وتخرّج عنهم في الخروج حارثة بن عمرو وهو خزاعة واقتحموا بحرم واحكوا عنه سكانه من "جرهم".

وعطف عمران بن عمرو مفارقاً لقومه نحو عمان، ثم استوطنوها، وهم "أزد عمان".

وسارت قبائل نصر بن أزد نحو تهامة، وهم "أزد شنوءة".

وسار جفنة بن عمرو إلى الشام، وأقام بها، وهو أبو الملوك الغساسنة.

ومن ترك اليمن لخم بن عدي ومعه نصر بن ربيعة أبو الملوك المناذرة بالحيرة.

ومنهم طيّ ساروا نحو الشمال حتى نزلوا بالجبلين "أجا وسلي"¹، لما رأوا هناك من الخصب، ويخترقهما الدهناء.²

وذهبت قبيلة كلب بن وبرة من قضاة إلى بادية السماوة - وهي آخر شمال نجد - ويخترقها وادي الدهناء.

¹. أجا وسلي (Salma Mountains- Mountain range in Hail, KSA)

². الدهناء (Ad-Dahna deserts - central division of Arabian desert, KSA)

هكذا تفرقت القبائل اليمنية واحتلت أخصب الأرض العربية في الشمال والغرب. وبقي باليمن كثير من قبائل حمير¹ وكندة ومذحج. وكان لحمير السيادة على البلاد ومنهم الملوك والأقيال.

النسل العدناني

أما شعب عدنان فمهده مكة وما جاورها من أرض الحجاز وتهامة. فإن عدنان بإجماع كلمة المؤرخين من العرب. ينتهي نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم الذي جاء مكة وساكن "جرهم" وصاهرهم. والقرآن ينسب إليه وإلى أبيه إبراهيم عليه السلام بناء البيت الحرام "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ"².

ولم تزل أبناء إسماعيل بمكة تتناسل حتى كان منه عدنان وولده معد. ومنه حفظت العرب العدنانية أنسابها. ويقال هذا الشعب المعديو التزاري.

مساكن الشعب العدنانية

لما تكاثر أبناء عدنان أخذوا يهجرونها متبعين منابت العشب ومواقع القطر. وذهبوا إلى أنحاء شتى من الجزيرة. فرجل عبد القيس من بطون بكر إلى البحرين، وبنو حنيفة إلى اليمامة و ثعلب إلى الجزيرة الفراتية وبنو تميم إلى بادية البصرة، وبنو سليم إلى جوار المدينة. وارتحلت قبيلة ثقيف إلى الطائف وقبائل هوازن إلى نواحي أوطاس. واختارت قبيلة بني أسد شرق تيماء و ذبيان حوران من تيماء. وبقي بتهامة بطون كنانة وأقام بمكة ونواحيها بطون قريش. فكانوا متفرقين. فجمعهم قصي بن كلاب. وكوّن لهم وعدًا وشرفهم من أقدارهم.

الخاتمة:

كانت نشأة وتطور كل من الدين الحنيف واللغة العربية متزامنة مثل التوأمين. نماء كل منهما كان نماءً للآخر. نشأ الدين الحنيف في الشعب العربي، واتسع إلى شعوب وبلدان مثلما اتسعت اللغة العربية إلى لهجات و

¹. حمير (Himyarite)

². سورة البقرة: 127

لغات مختلفة، حتى كانت حياً إلى اليوم مع خصائصها الأساسية. كانت بداية كلِّ في جزيرة العرب. وكانت الجزيرة العربية مهداً لهما معاً.

المراجع والمصادر:

1. القرآن الكريم
2. كتب الأحاديث النبوية
3. صفة جزيرة العرب، ابن الحائك أبو محمد الهمداني،
4. رياض العرب، ياقوت الحموي
5. معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، 2006
6. جمهرة أنساب العرب، ابن حزم الأندلسي
7. تكوّن العربية الفصحى، د. غانم قدوري الحمد
8. النحو قبل أبو الأسود الدؤلي، د. غانم قدوري الحمد
9. جزيرة العرب في القرن العشرين، حافظ وهبة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 2019
10. الجزيرة العربية قبل الإسلام، (غير معرّف)
11. البداية والنهاية لابن كثير.